المحاضرة الثالثة : المنهج التاريخي وتطبيقاته على النص الشعري القديم

منذ وجدت المدارس الأدبية والفنية، وتأسس النقد الحديث، ظهرت المناهج الأدبية في الدرس والتحليل، وكان أول هذه المناهج المنهج التاريخي الذي اشتغل عليه خلق كثير من الأدباء والنقاد في مطلع القرن العشرين، والمنهج التاريخي من المناهج الخارجية في الأدب يعطي مساحة كبيرة في الدراسة الأدبية للجانب التاريخي، إن هذا المنهج يكاد يطغى على كثير من الدراسات الأدبية التي درست الشعراء والمبدعين، فلا نكاد نقرأ كتاباً في التحليل الأدبي إلا وجدنا صفحات كثيرة كتبت عن تاريخ حياة الشاعر وأسرته وأولاده وعن كل المؤثرات الخارجية التي أثرت في شعره وأدبه، مثل الثقافة والبيئة وأحداث العصر السياسية والاجتماعية، حتى يظن قارئ الكتاب أنه يقرأ كتاباً في التاريخ لا في الأدب لكثرة التفاصيل عن حياة الشاعر، ولكثرة ما يرى في حاشية الكتاب من إحالات إلى كتب ومراجع ومصادر، وبذلك تنطمس معالم الكتاب .

إذن يُعتبر منهج النقد التاريخي واحدًا من المناهج النقدية المتعددة التي انبنت على قواعد متينة، ولعلّ من أهم العوامل التي أدت إلى ظهوره :

1. دعوة تقول إن الأدب تعبيرٌ عن الإنسان بكل أبعاده .
2. لاحظوا أن الأدب ينمو ويتطور بمرور الزمن .
3. أن النقد التأثّري كان سائدًا وسيطر على الأجواء النقدية، فحاولوا تخليص الساحة النقدية من هذا، بأن يتوسعوا بالبحث عن نقد علمي.

الجذور الأولى للمنهج :

فقد ظهر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فسمي بالمنهج التاريخي، أو كما يسميه شكري فيصل في كتابه **(مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي) النظرية المدرسية**؛ لأن هذا المنهج كان يُدرس في المدارس الثانوية والجامعات في أوربا والعالم العربي .

وهذا المنهج يتعامل مع الظاهرة الأدبية من زاوية سياسية، فكلما تقدم العصر سياسيًا ازدهر الأدب، وكلما ضعف العصر ضعف الأدب، وهذا المنهج ظهر لأول مرة في أوربا وبالضبط في فرنسا مع **أندري دوشيسون** الذي ألف كتاب **(تاريخ فرنسا الأدبي)** سنة 1767م. ويقسم فيه الأدب الفرنسي حسب العصور والظروف السياسية ويقول:**(إن النصوص الأدبية الراقية هي عصور الأدب الراقية، وعصور تاريخ السياسة المنحطة هي عصور الأدب المنحطة)** .

ويعتمد المنهج التاريخي في تعاملهِ مع العملية الأدبية وهي **(النص، المبدع، المتلقي)**، على فهمِ هذه العملية على أنها واقعة تاريخية، لها ظروفها وأسبابها، وعلاقاتها مع المحيط الذي ولدت فيه .

أولاً : **النص**، فهذا المنهج يحاول أن يعطي النص "**شهادة في سيرته** " يسجّل فيها حيثيات وجوده وتطوره وعقد مقارنة مع بعضها البعض وجمعها في أنواع ومدارس وحركات...

ثانيًا : المبدع، هذا المحور الثاني الذي يدرسه المنهج التاريخي في العملية الإبداعية، إذ يُطلق عليه اسم (**العبقرية**)، فينظر إلى هذه العبقرية في أصالتها وفردانيتها في الوقت الذي تمثل فيه الحس الجماعي، وظروف النشأة وشروط الوجود، وهذه الأصالة تعود إلى علاقة الخاص بالعام إذ إنها نتاج لبيئتها وتعبير عن العنصر الجماعي في الإبداع .

ويقول **لانسون** : "**أن الخصائص التي تميز العبقرية الفردية، ليست لذاتها أو لشخصها بل لأنها تشمل في حناياها الحياة الجماعية لعصر أو رمز تمثله، ومن هنا وجب علينا معرفة كل ما يحيط بتلك العبقرية من التضاريس الفكرية أو العاطفية الإنسانية أو القومية**" .

ثالثًا : المتلقي، فهو المحور الثالث والأخير في العملية الإبداعية والتي يدرسها المنهج التاريخي ، وفي هذا المنهج يعتقدون بأن جزءًا من حياة المؤلف يمثّله المتلقي ، أي أن النجاح أو الفشل الذي حققه المؤلف في نفوس الجمهور هو **دالة تاريخية**، فيلجأ أصحاب هذا المنهج إلى تتبع حياة هذه الدالة، فتسجّل فهارسها وطبعاتها ونسبة انتشارها، والخصومات التي أثارتها، والمناقشات التي سببتها إلخ ... ، وبالتالي فالأثر الذي تركته في الزمن واللحظة التاريخية التي وُجدت فيها يعدها واقعة تاريخية انعكست في محيط معين تلقاها وهذا المحيط يمثله المتلقي .

ونخلص مما سبق بأن أصحاب المنهج التاريخي قد درسوا العملية الأدبية بمحاورها الثلاثة ضمن إطارين الإطار **الزماني** والإطار **المكاني** الخاص بها، والنظر إليها كأنها وثيقة تختزن الظاهرة السياسية والاجتماعية والثقافية .

أبرز أعلامه : يعد "**النقد العلمي**" (**Critique Scientifique**) ، الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر ، شكلا مبكرا للنقد التاريخي ، من أبرز ممثليه **أ. سانت بيف Charle Augustin Sainte-Beuve** : **1804-1869**
: الذي يعدّ من أوائل النقاد الذين ساهموا في دفع عجلة التطور بالنسبة للمنهج التاريخي متأثرًا في ذلك باتجاههِ العلمي التجريبي، الذي درس من خلاله الأدب. فكان يبحث في الإنتاج الأدبي لا من حيث دلالته على المجتمع فحسب، ولكن من حيث دلالته على مؤلفه، فكانت أحكامه في النقد أحكاما منصبة على شخصيات المؤلفين .

ووظيفة النقد الأدبي عنده: هي النفاذ إلى ذات المؤلف، لتشف روحه من وراء عباءته بحيث يفهمه قراؤه وهو بذلك يضع الناقد نفسه موضع الكاتب.

ولقد دعا "**سانت بيف**" في ظل منهجية نقده هذه إلى "**دراسة الأدباء دراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية لعلاقاتهم بأوطانهم، وأممهم، وعصورهم وآبائهم وأمهاتهم، وأسرهم، وأمزجتهم، وثقافاتهم، وتكويناتهم المادية، الجسمية، وخواصهم النفسية والعقلية، وعلاقاتهم بأصدقائهم، ومعارفهم، والتعرف على كل ما يتصل بهم من عادات وأفكار، ومبادئ مع محاولة تبيين فترات نجاحهم وإخفاقهم وجوانب ضعفهم، وكل ما اضطربوا فيه طوال حياتهم في الغدو والرواح وفي الصباح والمساء**".

إذن فقد دعا إلى العناية بالأدباء وضرورة دراسة هؤلاء الأدباء دراسة (**نفسية، عضوية، اجتماعية**)، وكل ما يتعلق بهؤلاء الأدباء إلى درجة التجسس عليهم؛ لأنه يعتقد بأن هذه الأشياء لها أثر على إنتاجاتهم الأدبية .

ونخلص مما سبق بأن سانت بيف قد ركز على شخصية الأديب تركيزًا مطلقًا، إيمانًا منه، بأنه "**كما تكون الشجرة يكون ثمرها**" وأن النص "**تعبير عن مزاج فردي**".

ب . هيبولت تين (H.Taine):1828-1893 : وهو يستند إلى المنهج التاريخي في دراسته للأدب من خلال عدة عناصر: هي في حد ذاتها ثلاثية التميّز التي تكونها العوامل النفسية والطبيعية للأديب: وهذه العناصر هي .

1 . **الجنس أو العرق (Race)**: ويقصد به: مجموع الاستعدادات الفطرية التي تميز مجموعة من الناس انحدروا من أصل واحد، وهذه الاستعدادات مرتبطة بالفروق الملحوظة في مزاج الفرد وتركيبه العضوي.

فهو يزعم أن العرق له دوره في توريث بعض الخصائص الجماعية، ومنه يستنتج اختلاف صور الأدب واختلاف خصائصه عند شعراء كل أمة على حده ، فهو يزعم مثلاً أن الشعراء الساميين ينقصهم الخيال الواسع والتعمق في الحكم على الأشياء.

ولا شك أن هذه النظرية خاطئة لاعتمادها العرق أساسًا متجاهلة عبقريات الأفراد وتقاليد الأمم والشعوب في تنظيم أساليب الحياة وفق متطلبات يفرضها الزمان والمكان في الغالب.

2 . **البيئة (Milieu)**: ويقصد بها الوسط الجغرافي والمكاني الذي ينشأ فيه أفراد الأمة، نشوءًا يعدّ الواحد منهم ليمارس حياة مشتركة في العادات والأخلاق والروح الاجتماعية .

فيتأثر بها ويحاكيها فتتميز أعماله لأجل هذا ، فنحن يمكن أن نقبل بهذه الفكرة نسبيًا وليس على الإطلاق، والذي يدفعنا إلى قبول ذلك ما ورد عن الرسول ﷺ وقوله : (**إذا بدا جفا**)، وفي ذلك دليلٌ على أن البيئة لها دورٌ في صقل الشخصية.

3 . **العصر أو الزمان (Temps)**: وهو الأحداث السياسية والاجتماعية التي تكون طابعًا عامًا يترك أثره على الأدب.

إذن فالمنهج التاريخي يتخذ من الحوادث التاريخية والاجتماعية والسياسية وسيلةً لتفسير الأدب وتعليل ظواهره وخصائصه، ويركّز على تحقيق النصوص وتوثيقها باستحضار بيئة الأديب والشاعر وحياتهما؛ فهو، في قول آخر، قراءة تاريخية في خطاب النقد الأدبي تحاول تفسير نشأة الأثر الأدبي بربطه بزمانه ومكانه وشخصياته. أي أن التاريخ هنا يكون خادمًا للنص؛ ودراسته لا تكون هدفًا قائمًا بذاته، بل تتعلق بخدمة هذا النص.

في مثل هذه الحالات، لا بدَّ للناقد من التحقق من صحة الرواية الأدبية بالشك فيها، من حيث إن مبدأ *الشك* مبدأ علمي يجب أن يستعان به من أجل البحث عن الحقيقة وتوثيقها (في المرويات التاريخية والتراثية في شكل خاص) ومن أجل التحقق من مكان حدوث ظاهرة ما وزمانه، وصولاً من خلال ذلك إلى الحقيقة واليقين، وخاصة في الأدب الشفهي. من ناحية

أخرى، يتعامل هذا المنهج مع النص الأدبي كوثيقة تاريخية، فلا يلتفت إلى القيم الجمالية والفنية كثيرًا، أي لا يبحث في النص من حيث شكله الفني ومعماريّته الجمالية وإيقاعه.

منهج عمل آليات النقد التاريخي:

إن تطبيق المنهج التاريخي حتما يمر بمرحلتين هما:

1/تحديد موضوع وطبيعة النص , بالإضافة إلى انتقاء العلوم المساعدة والمناسبة.

2/طرح عدد من الأسئلة,تكون إجاباتها أسس الدراسة,ومن هذه الأسئلة:

أ . هل نسبة النص صحيحة؟وإذا لم تكن كذلك,فهل النص منسوب خطأ إلى غير صاحبه,أم أنه نص منتحل بكامله؟

ب . هل النص نقي كامل,خال من التغيير أو التشويه أو النقص؟.

ج . ما هو تاريخ النص؟

د . تحديد المعنى الحرفي للنص, معنى الألفاظ والتراكيب, ويستعان في ذلك بتاريخ اللغة, وبالنحو, وبعلم التراكيب التاريخي,ثم نبحث عن معنى الجمل بإيضاح العلاقات الغامضة , والإشارات التاريخية أو الإشارات التي تتعلق بحياة الكاتب نفسه.

هـ . توضيح المعنى الأدبي للنص,أي تحديد ما فيه من قيم عقلية وعاطفية وفنية,وتمييز استعمال الكاتب الشخصي للغة من الاستعمال السائد بين معاصريه, والحالات النفسية التي ينفرد بها من الصيغ العامة للإحساس والتفكير,كما يُستخلص ما يرقد تحت التعبير العام المنطقي من أفكار و صور وآراء أخلاقية واجتماعية وفلسفية ودينية.

و.كيف تكوّن العمل الأدبي؟ ولأيّ نوع من الأمزجة استجاب؟ولأي نوع من الملابسات خضع في إبداعه؟

ز. أيّ نجاح لاقى المؤلف وعمله في أيامه؟وأي تأثير كان له معاصريه؟

وإلى غير ذلك من الأسئلة الهامّة التي تنتهي بهذا المنهج إلى تحديد الظروف التي أدت بهذا النص,أو ذاك إلى الانتقال من نظام إلى آخر,وكأنّه بذلك يجيب عن سؤال مهمّ,ألا وهو ما الذي تغيّر داخل الخطاب الأدبي بتغيّر الزّمكان.

تطبيقات المنهج التاريخي في النقد العربي الحديث :

أما في النقد العربي ، فيمكن أن تكون نهايات الربع الأول من القرن العشرين تاريخا لبدايات الممارسة النقدية التاريخية ، على يد نقاد تتلمذوا – بشكل أو بآخر – على رموز المدرسة الفرنسية ، يتزعمهم الدكتور أحمد ضيف (1880–1945) الذي

يمكن عده أول متخرج عربي في مدرسة لانسون الفرنسية؛ فهو أول أستاذ للأدب العربي أوفدته الجامعة المصرية الأهلية للحصول على الدكتوراه من جامعة باريس ، وقد حصل عليها برسالة عن بلاغة العرب في الأندلس.

بالإضافة إلى : **طه حسين** (1890–1965) ، **وزكي مبارك** (1893–1952) ، **وأحمد أمين** (1886–1954)،...

. على أن **مُحَّد مندور** (1907–1965) يمكن عده الجسر "**التاريخي**" المباشر بين النقدين الفرنسي والعربي؛ فهو أول من أرسى معالم "اللانسونية"* في نقدنا العربي ، حين أصدر كتابه (**النقد المنهجي عند العرب**) مذيلا بترجمته لمقالة لانسون الشهيرة (**منهج البحث في الأدب**).

. ومنذ **الستينيات** ، أخذ النقد التاريخي يزدهر في كثير من الجامعات العربية على أيدي أشهر الأكاديميين العرب الذين تحولت أطروحاتهم الجامعية إلى معالم نقدية يقتفي آثارها المنهجية (**التاريخية**) طلبتهم ، ويتوارثونها طالبا عن أستاذ ، حتى ترسّخ المنهج التاريخي ورسم ترسيما أكاديميا (**يوشك أن يبدو مطلقا !**) ، وأصبح من المجازفة الأكاديمية أن يفكر الباحث الجامعي في بديل لهذا المنهج.

وبالإضافة إلى هؤلاء نجد أيضا: **شوقي ضيف** و **سهير القلماوي وعمر الدسوقي** في مصر ، **وشكري فيصل** في سوريا ، **ومُحَّد الصالح الجابري** في تونس ، **وعباس الجراري** في المغرب ، أما في الجزائر فيمكن أن نذكر : **بلقاسم سعد الله وصالح خرفي وعبد الله ركيبي** و**عبد الملك مرتاض** (في مرحلة أولى من تجربته النقدية).

نموذج تطبيقي على استخدام المنهج التاريخي في دراسة الأدب:

طه حسين: يعد طه حسين أبرز من استخدم هذا المنهج في دراساته عن الأدب العربي القديم: مثل كتابه "**حديث الأربعاء**" و "**تجديد ذكرى أبي العلاء**" .

ففي الكتاب الأخير: طبق طه حسين المنهج التاريخي تطبيقًا دقيقًا، فقد خصص بابًا من هذا الكتاب شغل حيزًا كبيرًا من الكتاب (**نحو ثلثي الكتاب**) درس فيه زمان أبي العلاء، ومكانه وشعبه والحياة السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والدينية في عصره، وقبيلته وأسرته ؛ ليرى أثر ذلك كله في شعره وأدبه، ونقتطف هنا جزءًا يسيرا من هذا المنهج في قوله:

"ليس الفرض من هذا الكتاب أن نصف حياة أبي العلاء وحده وإنما نريد أن ندرس حياة النفس الإسلامية في عصره فلم يكن لحكيم المعرة أن ينفرد بإظهار آثاره المادية أو المعنوية وإنما الرجل وما له من أثار وأطوار نتيجة لازمة، وثمرة ناضجة لطائفة من العلل. اشتركت في تأليف مزاجه وتصوير نفسه. من غير أن يكون له عليه من سلطان. من هذه العلل المادي والمعنوي فالمادية ما ليس للإنسان صلة بها، فاعتدال الجو وصفاؤه ورقة الماء وعذوبتها، وخصوبة الأرض وجمال الربى، ونقاء الشمس وبهاؤها. كل هذه علل مادية تشترك مع غيرها في تكوين الرجل وتنشئ نفسه.

وأبو العلاء.. ثمرة من ثمرات عصره. قد عمل في إنضاجها الزمان، والمكان والحال السياسية والاجتماعية والحال الاقتصادية... فالمؤرخ الذي لا يؤمن بالمذاهب الحديثة. ولا يصطنع في البحث طرائقه الطريفة. ولا يرضى أن يعترف بما بين أجزاء العالم من الاتصال المحتوم. ولا أن يسلم بأن الشيء الواحد على صغره وضآلته إنما هو الصورة لما أوجده من العلل".

. *غستاف لانسون (Gustave Lonson) 1857-1934 : يعد هذا الأكاديمي الفرنسي الكبير الرائد الأكبر للمنهج التاريخي الذي أصبح يعرف كذلك بالانتساب إليه (**اللاّنسونية**) :
Lonsonnisme) ، وقد أعلن لانسون عن هويته المنهجية سنة 1909 ، في محاضرة بجامعة بروكسل حول (**الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب)** ، ثم أتبعها سنة 1910 بمقالته الشهيرة (منهج تاريخ الأدب) ، وقد حدد فيها خطوات المنهج التاريخي.

فأبو العلاء إذن عند طه حسين صورة مرتبطة بواقع، طالما كان مشدودا بكل أطرافه لاتجاهات الزمان والمكان والبيئة والعصر، والجنس. وما تنبثق عنها من معطيات وأيديولوجيات سياسية واجتماعية وثقافية –. فهو عصارة ذلك التكوين المتشابك كله. وهذا هو المنهج التاريخي في عمق مغزاه.

لا يمكن أن نمرّ من التجربة العربية في تطبيقاتها للمنهج التاريخي دون الإشارة إلى طريقة دراسة النقاد والباحثين العرب للأدب العربي القديم جملة لا أفرادا وسنأخذ لذلك نموذجا يعد الأبرز والأوضح وهو مشروع الناقد المصري شوقي ضيف:

لقد تصدى شوقي ضيف في العديد من مؤلفاته لدراسة الأدب العربي، من جوانب عديدة ، أظهرها التأريخ للأدب العربي، ضمن **سلسلة تاريخ الأدب العربي**، بعدما رأى أن جهود المحدثين من عرب ومستشرقين لم تبسط الحديث في الأدب والأدباء العرب على مر التاريخ بسطًا مفصلًا من الجاهلية إلى العصر الحديث.

لذلك سعى جاهدًا إلى التركيز على دراسة الأدب بمعناه الخاص ، من خلال الجمع بين منهجيات مختلفة ، لدراسة الظواهر الأدبية «**عصورًا واتجاهات وتيارات، أو أشكالًا أدبية، أو شخصيات أدبية**» ، مما يساهم في نقل التصور الشمولي للأدب بشقيه «**الشفاهي والكتابي**» ، مع التأكيد أن دراسة حاضر الأدب لا تنفصل عن ماضيه لذلك لا بدّ من تأصيل الظواهر والموازنة بينها .

وقد نهج شوقي ضيف في تأريخه للأدب، منهج التقسيم إلى عصور أدبية تبعًا للتقسيمات السياسية للعصور، فقسم العصور الأدبية إلى خمسة أقسام ، يبدأ أولها في **العصر الجاهلي**، في حين ينتهي القسم الأخير في عصر **الدول والإمارات** ، **وبينهما العصر الإسلامي والعباسي الأول والعباسي الثاني.**

وتقسيم شوقي ضيف للعصور الأدبية، يتميز من غيره، ممن اتبعوا المنهج التاريخي في دراسة الأدب، في أنه جمع بتأريخه بين عنصري الزمان والمكان، ويتضح ذلك جليًا في عصر الدول والإمارات (**الشام** ، **الجزائر** ، **المغرب الأقصى** ، **موريتانيا** ، **السودان)**.حيث جمع فيها أقاليم عديدة، وأرخ لأدبها على حدّة، إلا انه أكد أنه ثمة وحدة فكرية وشعورية وروحية تجمع هذه الأقاليم المختلفة ، في مراحلها المتباينة المؤرخ لها.

وقد تناول شوقي ضيف العصر العباسي ضمن فترتين ، وهو بهذا يفترق عن الذين قسموا العصر إلى فترات عديدة .

واعتاد شوقي ضيف أن يبدأ دراسته لأي عصر من العصور الأدبية المؤرخ لها، بدراسة طبيعة الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والعقلية ، ثم يتبعها بدراسة الأغراض الأدبية الشعرية منها والنثرية، ومن ثم يقدم تراجم الأدباء.

وقد يتباين التناول المنهجي للعصور، إذ يتحدث شوقي في العصر الجاهلي عن خصائص الشعر ، في حين أنه يتحدث في عصر الدول الإمارات عن السياسية والمجتمع، ويفرد للثقافة فصلًا . وفي العصر العباسي فَصَلَ شوقي ضيف الجانب السياسي عن الاجتماعي.

أما عن تناول شوقي ضيف للأغراض الأدبية في تأريخه للأدب، فيبدو لي أنه كان يصف حركة الغرض في العصر الذي يؤرخ له، ويبين مدى شيوع هذا الغرض وتحولاته، ولكنه .

والشيء الملاحظ أن شوقي ضيف كان تارة يربط الغرض بجانبه الاجتماعي من مثل تناوله لغرض " **المديح، والرثاء، والهجاء**"، وتارة يربطه بالجانب الفردي الذاتي لا سيما في تناوله لغرض " **المجون، والخمريات، والغزل**".

أما عن التراجم الأدبية التي قدمها في تأريخه للأدب، فقد تناول فيها ملامح تاريخية للشخصية التي تدور فيها الترجمة، واعتمد على مصادر القدماء والمحدثين فيما روى من أخبار عن الشعراء.

وقد أبان عن تفاعل العوامل المختلفة في تكوين عدد من الشخصيات الأدبية، وأشار إلى جانب تأثير اختلاط الأجناس .

ويظهر عنده أن تناوله للتراجم جاء تبعًا لشهرة الشاعر، أو شهرة الغرض الذي كان يتميز به.

وبعد هذا التطواف القصير في رحاب منهج شوقي في تأريخه للأدب، حري بنا التنبيه إلى أهم الأنماط الملحوظة في هذا المنهج وهي:

- نمط تحكم السياسة في حركة الأدب.
- نمط تغلب عليه الرؤية الوضعية، الكامنة في البحث عن العلل الكامنة، وراء الوقائع الأدبية.
- نمط يجمع بين التحليل التاريخي، والتقويم الفني، مع إعطاء أهمية كبرى للمؤلِف على حساب المؤلَف.

أما عن أبرز المآخذ على منهج شوقي ضيف في دراسته لتاريخ الأدب فهي:

- تركيزه على ترجمة الشعراء المشهورين دون الالتفات للمغمورين منهم.
- أحكامه الانطباعية التي تبتعد عن روح النقد .
- ربطه تطور الأدب وأغراضه بالسياسة، دون الالتفات لتأثير الأدب بالسياسة.

تقييم المنهج التاريخي:

لقد حظي المنهج التاريخي مثله مثل كل المناهج بمجموعة من المؤيدين وأخرى من الرافضين وثالثة من المتوسطين في قبوله ورفضه:

المؤيدون: يرون فيه منهجاً محاكياً لقوانين العلم وآلياته وبخاصة في مجال الدراسة العلمية الأكاديمية التي تخضع للدراسة والفحص والملاحظة.

أما **الرافضون:** فينطلقون من الاعتراف بأن الخطاب الأدبي ما هو إلا بنية لغوية وعلاقات تشكيلية وجمالية ورؤية مجازية لا يجوز مقاربتها من خارج سياقها أو تقويمها بعيداً عن أثرها الجمالي والفني.

أما **المتوسطون:** فيعترفون بما للمنهج التاريخي من دور مهم في فهم الظواهر الأدبية وتفسيرها, ولكنهم يرون محدودية المنهج باقتصاره على تشكيل خصائص اتجاه أدبي في جيل أو أمة, كما يفيد في فهم بواعث نشوء ظاهرة أدبية أو تيار فكري معين مرتبط بالمجتمع .

يسجل النقاد على هذا المنهج ست ملاحظات هي:

1. لوحظ عليه اهتمامه بعناصر تفسير النص تفسيرًا تاريخيًا اجتماعيًا مما أدى إلى انكبابه على تفسير المضمون وإهمال الشكل الفني و الربط الآلي بين النص الأدبي ومحيطه السياقي ، واعتبار الأول وثيقة للثاني .
2. **الاستقراء الناقص** : بحيث من الصعب بل من المستحيل جمع كل شيء عن الأديب أو الشاعر من أول حياته.
3. **الأحكام الجازمة**: ومثال تلك الأحكام قول بعض النقاد:"**اتساع نفوذ الفرس هو الذي أوجد شعر المجون والخمريات**" .
4. نسيان أن الأدب ليس دائمًا تسجيلاً للواقع المعيش أو الماضي ولكنه كذلك تسجيل للآمال والأشواق المستقبلية والرغبات المكنونة في النفس الفردية أو الجماعية.
5. – التعامل مع النصوص المدروسة على أنها مخطوطات بحاجة إلى توثيق ، أو تحف مجهولة في متحف أثري ، مع محاولة لمّ شتاتها وتأكيدها بالوثائق والصور والفهارس والملاحق.